قراءة القلم المصري

قُل لمَن لا يرى الاواخرَ شيئًا ... ويرى للأوائلِ التقديما
انّ ذاكَ القديمَ كانَ حديثًا ... وسيبقى هذا الحديثُ قديما

بل قُل لمؤرّخي العصور ومسجّلي وقائع الدهور · ايُّ عصرٍ مثل عصرنا اتّخذ فيهِ الانسان من البخار مطيّةً ومن البرق بريدًا . ودخل مخادع الارض يستنبط خزائنها وصعّد في السماوات العلى "ليقتبس من بعض الكواكب نارا" . وكيفما ادار الباحث نظرهُ رأى مكتشفات هذا العصر ناطقة بتغلّب الانسان على قوى الطبيعة وبخضوع المصاعب لاهل الحزم والثبات

هذه في آثار مصر رآها الاقدمون قبل الفتح الاسلامي وبعدهُ فقالوا انها كتابات الاولين ومستودَع اسرار حكمتهم . ولكن ما منهم مَن دأب على حل رموزها ومعرفة ما تضمّنتهُ من اسرار الحكمة واخبار الاولين . ولبثت تُكتَشف تارةً وتطمس أُخرى الى ان قام رجال هذا العصر الذين آلوا على انفسهم الاّ يتركوا شيئًا يعزّ عليهم الاّ قضاء الله تعالى فقرأوا القلم المصري القديم وعرفوا منهُ تاريخ قدماء المصريين واحوالهم المعاشيّة حتى كأنهم عاصروهم ولاحظوهم . وها نحن شارحون كيفيّة توصّلهم الى حل هذه الكتابة بوجه الايجاز

لما غزا نبوليون الاوّل بلاد مصر اكتشف واحد من رجالهِ حجرًا اسود بالقرب من مدينة رشيد عليهِ كتابة بالقلم المصري القديم المعروف بالهيروغليف وتحتها كتابة أُخرى مصرية بالقلم المعروف بالعامي او الديموتيك وتحت هذه كتابة ثالثة باليونانية . وكان اكتشاف هذا الحجر سنة ١٧٩٩ للميلاد . وكان البعض قد رغبوا حينئذٍ في حل رموز القلم المصري القديم فتوسّموا في هذا الحجر مرشدًا يرشدهم الى حلها . فأهدي الى مجمع العلوم الفرنسوي الذي كان في القاهرة ثم سُلّم للجنرال هتشنصون الانكليزي الذي تغلّب على جنود بونابرت وأُهدي الى المتحف البريطاني فحُفِظ فيهِ الى يومنا هذا

وطول هذا الحجر ثلاث اقدام وقيراطان وعرضهُ قدمان وخمس قراريط وقد رسمت جمعيّة العاديات صورتهُ سنة ١٨٠٢ ووزعتها على جمهور من العلماء فقرأوا الكتابة اليونانية بسهولة ووجدوا فيها ان كهنة منف كتبوها للملك بطليموس ابيفانيس سنة ١٩٤ قبل المسيح تذكارًا لنعمهِ الوفيرة التي اسبغها عليهم ووضعوا نسخة منها في كل هيكل من الهياكل التي من الطبقة الاولى والثانية والثالثة بقرب تمثال هذا الملك . ومنذ عهد حديث وُجدت نسختان كاملتان من هذه النسخ

على حجرين كبيرين وهما الآن في مخفر بولاق

ولما قُرئت الكتابة اليونانية حاول البعض قراءة الكتابة المصرية العامّة ظنًّا منهم انها مركّبة من حروف هجائيّة مثل اليونانية تمامًا فاخطأ ظنُّهم وعادوا بالفشل . ومن الذين حاولوا ذلك العالم الفرنسوي ده ساسي المشهور في معرفة اللغات الشرقيّة وغاية ما اتصل اليه انهُ عيَّن موقع الاعلام في الكتابة المصريّة المقابلة للاعلام اليونانيّة . واقتفى اثرهُ اكربلاد العالم الاسوجي وعيَّن لفظ بعض الأعلام التي في القلم المصري العام . اما الهيروغليف فلم يحاول احد التطاوُل اليهِ حينئذٍ . وفي الكتابة اليونانية ترد كلمة الاسكندر والاسكندرية فعُرف ما يقابلها في الكتابة المصرية العامّة . وترد ايضًا كلمة ملك مكرّرة ثلاثين مرةً وكلمة بطليموس مكرّرة اربع عشرة مرة فعُرفت الالفاظ التي تقابلها في الكتابة المصرية ولكن ذلك لم يكفِ لحل رموز هذه الكتابة ولا لاستخراج حروفها . وقد تأخّر العلماء عن البلوغ الى هذه النتيجة وكان السبب الاكبر لتأخُّرهم مقاومة بعضهم لبعض غيرةً وحسدًا بل جهلاً وكبرًا . فقد أُعطي البعض قوّةً على كشف الغوامض وازالة المصاعب وجلب الخير العام للبشر وأُعطي غيرهم قوّة على المزاحمة والممانعة ونزع الخير وافساد الصلاح فيقفون في طريق كل مُفلح يررون حياتهُ بالتنديد والتصنيف وهم لو ساروا في الطريق السوى طريق اهل الاجتهاد لرأوا من عيوبهم ما يشغلهم عن انتقاد عيوب غيرهم

وفيما كان كثيرون يقولون في الكتابات المصرية الاقاويل كان فرنسوا شمبليون الفرنسوي وتوماس بن الانكليزي يشتغلان في حل رموزها اشتغال الدائب المجدّ وكلٌّ منهما يجهل ما كان من امر الآخر . وسبق بنُ شمبليونَ الى حل هذه الرموز ولكنهُ اخطأ في اكثر ما حلهُ منها ولذلك فالفضل في حلها لشمبليون بشهادة بعض علماء الانكليز انفسهم وجمهور العلماء الفرنسويين

وشرع شمبليون في حل هذه الكتابة سنة ١٨١٨ اي منذ سبعين سنة وكان قبل ذلك قد درس اللغة القبطيّة وجغرافية مصر القديمة وكل ما كتبهُ الاقدمون عن المصريين . وكان بلزوني الايطالي قد عثر في جزيرة البرية على مسلّة مصرية عليها كتابة يونانية ومصرية وارسل صورة الكتابة الى اوربا ورآها شمبليون وقال في نفسهِ ان الكتابة اليونانية هي ترجمة الكتابة المصرية وبما ان في الكتابة اليونانية اسماء اعلام واسماء الاعلام لا تترجم بل تبقى على لفظها فلا بدَّ من ان اهتدي بها الى لفظ بعض الحروف المصرية . ووجد في الكتابة المصرية نقوشًا محاطة بخط بيضوي ومكررةً مرارًا كثيرة وفي الكتابة اليونانية اسم بطليموس مكررًا مرارًا كثيرة ايضًا فاستنتج ان النقوش الهيروغليفية المحاطة بالخط البيضوي هي اسم بطليموس وتأيَّد ذلك من ان

اسم بطليموس وارد في الحجر الرشيدي في الكتابة اليونانية ويقابله في الكتابة الهيروغليفية حروف محاطة بخط بيضوي وصورتها مثل صورة هذه الحروف تماماً ولذلك فالحرف الاول منها هو الباء المصرية والثاني الطاء وهلمَّ جرًّا واذا كان ذلك صحيحًا فيجب ان يصدق على الاعلام الاخرى المذكورة في هذه الكتابة . وفي الكتابة اليونانية اسم كليوباترا ايضاً ويقابلها في الهيروغليف كلمة محاطة بخط بيضوي فاذا كانت الكلمة الاولى بطليموس فهذه كليوباترا

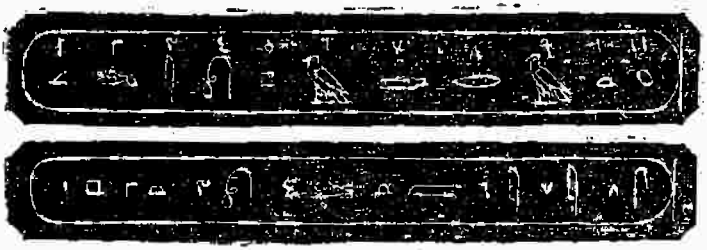

وهاك صورة اسم كليوباترا وبطليموس في الهيروغليف اي القلم المصري القديم فالحرف الاول من اسم كليوباترا صورة ركبة واسم الركبة في اللغة القبطية[1] يبتدئ بحرف الكاف فهو حرف الكاف . والحرف الثاني صورة اسد واسم الاسد في اللغة القبطية يبتدئ بحرف اللام ومنه اسم اللبوة في العربية فهو صورة حرف اللام وهو الحرف الرابع في اسم بطليموس لان الثالث بمثابة الحركة . والحرف الثالث من اسم كليوباترا صورة قصبة وهو الحرف السادس والسابع في اسم بطليموس فهو بمثابة الالف او الياء واسم القصبة في اللغة القبطية يبتدئ بالالف . والحرف الرابع صورة عقدة وهو حرف الواو . والحرف الخامس مثل الحرف الاول من اسم بطليموس فهو حرف الباء . والسادس صورة نمر واسم النمر في القبطية يبتدئ بالالف فهو حرف الالف . والسابع صورة يد واسم اليد في القبطية يبتدئ بحرف الطاء فهو حرف الطاء . والثامن صورة فم واسم الفم في القبطية يبتدئ بحرف الراء فهو حرف الراء . والتاسع تقدم ذكرهُ . والعاشر مثل الثاني في اسم بطليموس فيجب ان يلفظ تاء او طاء . والحادي عشر لا حرف له في اليونانية وقد عُرف بعد ذلك انهُ علامة تلحق آخر الاسماء المؤنثة . واذا نظرنا الى اسم بطليموس نجد ان الحرفين الخامس والثامن لم يردا في اسم كليوباترا فالاول منهما هو الميم والثاني هو السين

وعلى هذه الصورة تمكَّن champollion من معرفة اكثر حروف الهجاء ومن قراءة كثير من الكتابات المصرية القديمة وذلك في مدة تسع سنوات واصَل فيها الدرس والبحث . ولكنَّ الكتابة

(١) اللغة القبطية متولدة من اللغة المصرية

الهيروغليفية ليست على نسق واحد فقد تكون صورها حروفًا مفردة وقد تكون مقاطع او كلمات او معاني ومجموعها يُعَدُّ بالمئات ولذلك كان علمها اصعب مما يظن لاول وهلة. وزادت صعوبتها بمقاومة الحسّاد والمناظرين له ولكنه تغلّب على هذه الصعوبات كلها وعاونه عليها جمهور من العلماء الراسخين من فرنسويين وانكليز والمانيين وايطاليين. اما الشرقيون ولاسيما طائفة القبط التي اللغة لغتها والكتابة كتابة اسلافها فحتى الساعة لم تعتنِ بدراستها على ما نعلم

هذا من جهة قراءة الكتابة المصرية القديمة اما معانيها فعرفت من مقابلتها باللغة القبطية ومن وجود صور بعض الاشياء التي تصوّر مع الكلمات فان المصريين كانوا احيانًا كثيرة لا يكتفون بكتابة اسم الشيء بل يصورونه مع اسمه فمن الكتابة يُعرَف لفظ اسمه ومن صورته يعرف معناهُ. فيكتبون الثور بصورة ثلاثة احرف وهي القصة والعقدة والنسر ثم يصوّرون الثور بعدها فيُعلم من ذلك ان لفظ هذه الكلمة هو اوا ومعناها ثور

اكبر الحيوانات

الفيل اكبر الحيوانات البرية العائشة الآن فان ارتفاع الضخم منه يبلغ عشر اقدام انكليزية ولكن الفيل المنقرض الذي وجدت آثارهُ في بلاد سيبيريا سنة ١٧٩٩ اكبر من الفيل الحالي لان ارتفاعهُ احدى عشرة قدمًا وربع قدم. وفي دار التحف بباريس الآن هيكل فيل يسمّى بالفيل الجنوبي وهو من الحيوانات المنقرضة ايضًا ارتفاعهُ اقل من اربع عشرة قدمًا انكليزية بعقدتين وطولهُ من طرف نابيهِ الى اصل ذنبهِ ٢١ قدمًا وثمانية وهو اكبر هيكل كامل من هياكل ذوات الاربع. وفي تلك الدار عضد فيل آخر منقرض وهو المسمى بالفيل القديم طوله اربع اقدام وعقدتان انكليزيتان وطول عضد الفيل الجنوبي اربع اقدام فقط. وفيها ايضًا قصبة من قصب الحيوان المسمّى دينوثريوم نسبتها الى نسبة قصبة الفيل الجنوبي كنسبة ٩٤ الى ٨٠ فاذا كان جسما هذين الحيوانين كبيرين بحسب هذين العظمين فارتفاع الفيل القديم اربع عشرة قدمًا ونصف وارتفاع الدينوثريوم ست عشرة قدمًا وربع اي انهُ لو وقف ثلاثة رجال الواحدُ على كتفي الآخر ما وصل الثالث منهم الى رأس هذا الحيوان

هذا والمظنون ان الانسان كان في عصر الدينوثريوم والمؤكد انهُ كان في عصر الفيل القديم وتغلّب عليهِ بشجاعتهِ ومهارته